

الحجر الكريم -

في

اصول الطب القديم

ارجوزة طبية مشروحة للشيخ ناصيف اليازجي
نشرها للمرة الاولى عن مخطوطة بخط المؤلف
فؤاد افرايم الثاني، استاذ الآداب العربية في كلية الهندسة بوسف

٤

(تمة)

٦٩ وان تُبرَدَ شيخك المحروراً^(١) فلا يَكُنْ عكس الفتى كثيراً
٧٠ واعكس. لمبرودهما مسخناً والبعض عكس كل ذلك استحسننا
اي اذا أُريدَ تبريد الشيخ المحرور فلا يَكُنْ تبريده كثيراً بخلاف الفتى
فانه يقتضى المبالغة في تبريده. وذلك لان الشيخ قد غلب على مزاجه البرد
والفتى بخلافه. فاذا خرج مزاجها عن مركزه امكن عوده اليه في الشيخ
بتبريد يسير. واحتاج في الفتى الى تبريد شديد. وبالعكس في المبرودين منها
فان الشيخ يحتاج الى تسخين شديد. والفتى يكتفى بتسخين يسير. واختار
بعضهم عكس ذلك لان مزاجها لم يخرج الى ضده الا للداع قوي. فيحتاج
المبالغة في ما يردّه الى مركزه. فان خرج عن مقداره فقط امكن عوده الى
ما كان عليه بادنى واسطة. والاول هو الاصول وعليه الجمهور. [١٣٠]

واعلم انه يجب على الطبيب ان يكون مستوفياً حق علمه واثقاً بنفسه عن
يقين. وان يكون رصيناً مهذباً اميناً ناصحاً مخلصاً متمسكاً بدينه سهل
الاخلاق تين الريكة قنوعاً بما يآخذهُ من كل مريض بحسب حالته مجتهداً في
تدبيره حريصاً عليه. غير مخاطره في اعطاء الادوية الضيعة. ولا فارقه في

(١) المحروراً. وفي «الطيب»: المحرور

العناية بين الاكابر والاصاغر والاغنياء والفقراء فان الجميع باعتبار الانفس في رتبة واحدة . وان لا يكون مهذاراً في كلامه فيضجر الطليل منه . ولا عزيز الكلام فلا يشفيه بالجواب . وان لا يذخر الادوية زماناً طويلاً فتلاشي قواها . ولا يترخص ما يشتره منها اذا كان الاعلى منه انفع . وان لا يدخل في علاج المرض ما لم يعرف السبب الذي احده . ويقف على حقيقة تشخيصه ومركزه . واذا احتاج ان يختبر فليتلطف بما تؤمن غائلكه ويمكن استدراكه . وليكن ما يختبر به أميل الى الحرارة فقد قالوا ان الخطأ الى جانب الحار اسلم منه الى جانب البارد . وبما ينفع الطبيب والمريض جميعاً ان يتعرف الطبيب ما تيسر له من الدلائل المنذرة بما يحدث للمريض قبل حدوثه . ويُنذره بما لا يُزعجه [١٣ق] منها كاختلاج الشفة المنذر بحدوث القي . فان ذلك ينفع الطبيب لانه اذا انذر بامر ثم وقع ذلك الامر عظم في عين المريض واهله فبالقوا في اكرامه . ونشروا له ذكراً حناً يجعل الناس يتبرونه ويرغبون فيه . وينفع المريض لانه يحمل عنده ثقةً بانتفاعه وشفائه عن يد ذلك الطبيب لاعتقاده الكفاية عنده . وبذلك تتمش طبيته وتقوى على دفع المرض . ويجب على المريض ان يكرم الطبيب ويتلقاه بالابشاشة وحسن القبول ليجتهد في علاجه بالرغبة واخلاص النية . قال الشاعر

ان المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان المرء ان لم يكرهما

فاصبر لدايتك ان اهنت طبيبه واحبر لجهلك ان اهنت معلما

ويجب ان يكون حريصاً على استعمال كل ما امره به واجتناب كل ما ناه عنه . فقد قال بعضهم اذا كان الطبيب حاذقاً والصيدلاني صادقاً والطبيب مراقباً فما اقل لبث العلة . والمراد بالصيدلاني بائع الادوية . وقيل ان الفاضل جالينوس قال يوماً لمريض كان يعالجه اعلم اني انا وانت والمرض ثلاثة . فان طاوعتني كنت انا وانت اثنين والمرض واحداً فنقلبه . وان خالفتني كنت انت والمرض اثنين وانا واحداً فنقلباني . [١٤و] وبما يجب على المريض ان لا يعاف شرب الدواء الكره الطعم . بل يُقدم عليه ويتناوله غير تافره منه لان ما تنفر منه الطبيعة لا ينجع فيها . وان يعتقد فيه المنفعة فترتاح نفسه اليه

وتتمش طبيعته بواسطته . وان لا تشره نفسه الى ما يضره من الاطعمة اللذيذة
فانها تكون خبيثة بعد ذلك . وعليه قول الشاعر

وان المر حين يسر حلو وان الحلو حين يضر مر
فخذ مرّاً تصادف منه نفماً ولا تصدل الى حلو يضر

ويجب عليه ايضاً ان لا يكتم عن الطبيب شيئاً من امره . فربما كان ما
لا يُعتبر عنده مُعتبراً عند الطبيب . وان لا يستعمل شيئاً مما وصفه طبيب غيره
الا باطلاعه واذنه . فان كان قد وجده ليس كفواً يرفع يده ويعد ذلك
يدعو غيره ويعمل برأيه . غير ان المرض كما ذكرنا آنفاً له درجات منها
الترايد والوقوف على حاله . والطبيب لا يقدر غالباً ان يمكك عنها . فاذا
تدرج اليها لم يكن ذلك برهاناً قاطعاً على ضعف الطبيب وعجزه . وقد يتفق
احياناً ان المريض اذا رأى مرضه قد ترايد او وقف يئأس من ذلك الطبيب
[١٤] فيرفضه ويدعو غيره . وحينئذ يكون قد اقبل انحطاط المرض فينحط
من نفسه . وعلى ذلك يُنسب التصور الى الاول والبراعة الى الثاني بخلاف
الصواب . وينبئ للمريض ان يُجمن ظنه بالسلامة ويشدد قلبه مطمئناً فان
ذلك يكون من انفع الملاجبات له . لانه يقوى الطبيعة امام المرض فلا يدعه
يقهرها ويستولى عليها بخلاف الحرف فانه يحل الطبيعة فيستب المرض عليها
ويغلب الطبيب والدواء . وعلى ذلك تكون الطمانينة دواءً واحرف مرضاً
ثانياً . ويجب على اهل المرض ان يبذلوا الجهد في ملاحظة كل ما يارل الى
راحتهم . ويهتوا في قضاء حوائجهم الملاجية وغيرها . ويحتبروا ازعاجه جسماً
وفكراً . ولا يفترخوا عن تسليته وتطيينه . ولا يظهروا له خوفاً ولا جزعاً .
ولا يحدثوا بعضهم سرّاً بحضرتهم . ولا يشير بعضهم الى بعض . واذا رآوه
في ضنك وانتهاك يكلفون انفسهم البشاشة ويسهلوا الامر عليه . ولا يكتنوا
من الدخول عليه الا من يستأنس به وترتاح نفسه الى معاشرته . فان ذلك مما
يفيده لان خلوة المريض بنفسه دائماً تجلب عليه الضجر فيضيق صدره [١٥] و
وتردد في قلبه الهواجس والافكار المزعجة . ويجب على الذين يزورونه ان
لا يدخلوا عليه الا باذنه . ومتى جلسوا عنده لا يكثرون عليه المسائل . ولا

يتحدثون الا بما تطيب نفسه بسايعه . ولا يستر بعضهم الى بعض كلاماً خفياً .
ولا يطيلون الجلوس عنده لان ذلك يسكته عن قضاء بعض حوائجه . ويشغل
اهل بيته عن تدبير ما يحتاج اليه

٧١ وتحفظ الصحة بالقناعة في الاكل بعد صادق المجاعه

٧٢ وقلة التخليط في الالوان وجودة المضغ مع التواني

٧٣ وهكذا تنقية الفضول بالرفق في معتدل الفصول

اي ان الصحة تحفظ بتليل الاكل وكونه بعد الجوع الصادق . فقد قيل
ان الدراة الذي لا داء فيه ان تجلس على الطعام وانت تشبهه وتقوم عنه وانت
تشبهه . وقال الشيخ في ارجوزته

رقيم الجوف الى ثلاث ان شئت ان تنجو من الاخباش

الثلاث للماء وللغذاء ثلث ويبقى الثلث للهواء

ومن هذا القبيل تقليل الران الطعام لان كثرتها واختلافها يفقدان الكيلوس
في المدة بخلاف قلتها واتفاقها . ولذلك نرى امراض الحيوانات قليلة كما لا
يخفى . وكذلك جودة المضغ [١٥ق] مع التآني فيه يسهل هضم الطعام على
المعدة ولا يزدحم عليها . وعليه قول الشيخ في الارجوزة

أجل زمان الاكل تستببه ودقق المضغ تستهضه

وهذا الاعتبار ينبئ ان يكون ما يراد مضغه سهل المضغ ليتمكن
تنسيه فيسهل على المعدة هضمه بخلاف الاشياء العليكة والصلبة فانها ترد على
المعدة قاصرة المضغ فتكون عمرة المضم . وعلى ذلك قول الشيخ

وكل ما شق عليك قضمه فانه صعب عليك هضمه

ومما يؤسر به حفظ الصحة تنقية الاخلاط في الفصول المعتدلة بين الحر
والبرد . وقد اقتصر بعضهم في حفظ الصحة على قوله من لم يمتلي من الطعام
ولم يأكل عند المنام ونفى الفضول في معتدلات الفصول كان حرياً بان لا

يطرقه المرض الا اذا حان الاجل . وقال الشيخ الرئيس في بعض منظوماته

من رام ان يحظى بصحة جسده ويميز مدة عمره بتمامه

فليجطنَ غذاءَهُ من اربع. ويبادر التقسيم في احكامها
من خبز ساعته ولحم نهاره وطبخ ليلته وخمرة عابها
والعمدة في ذلك ما استوفاه في الارجوزة كما ذكرنا آنفاً . وهي [١٦ و]
ارجوزة طريفة جامعة اصول الطب وفروعه يقول في مطلعها

الطبُ حفظُ صحتهِ بره مرض من سبب في بدن عنهُ عرض
شرها العلامة الشيرازيُّ شرحاً طويلاً متوفياً ستاهُ الجوهر النفيس في
شرح ارجوزة الشيخ الرئيس : وقال في ترجمته هو الشيخ ابو علي الحسين^(١) بن
عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا البخاري . ولد في شهر صفر سنة سبعين
وثلاثمائة . وتوفي يوم الجمعة اول شهر رمضان سنة ثمان وعشرين واربعمائة .
ودُفن في همدان

٧٤ وليُحذَر الترام اكل اللحم مواظباً والنوم قبل المضغ
٧٥ واكل ثأن قبل هضم الاول وتصب لالكل مطلقاً^(٢) يلي
اي وما ينبغي لحفظ الصحة ان لا يُواظب على اكل اللحم لانه غذاء غليظ
مرسُ للفساد . وعلى ذلك قول الفاضل جالينوس لا تجعلوا بطونكم مقابر
للحيوانات . وكذلك يُحذَر النوم قبل المضغ لانه يستوقف المعدة عنه . والاكل
قبل هضم الطعام الاول لانه يشغلها عن هضمه واصلاحه . وان امكن يُقتصر
على اكلة واحدة في اليوم . وقد جمعها الشيخ الرئيس بقوله

[١٦ ق] اجعل غذاءك كل يوم مرة واحذر طعاماً قبل هضم طعام
وما ينبغي ان يُحذَر منه التعب بعد الاكل كيفما كان لانه يضغط المعدة
وتعجبها فلا تطهين هضم الطعام واصلاحه . واما قبل الاكل فانه نافع لانه
يقوى الحرارة الفريزية ويعين المعدة على اثناء ما تبقى فيها من الفضلات .
ولكن ينبغي ان يكون لطيفاً بحيث لا يبلغ الى اسراع النفس . قال ابقرراط
ان الرياضة المعتدلة تحفظ الصحة . واما القوية فانها لا تدع الطعام يستقر في

(١) الحسين : كذا في الاصل . والصواب : الحسين .

(٢) مطلقاً : وفي « الطبيب » : مطلقاً

المدة فيفسد الهضم . وعليه قرهلم ان الرياضة قبل الغذاء خيرٌ عظيمٌ وبعده شرٌ جسيم

٧٦ وحكموا في العادة المضرة بقطعها المرة بعد المرة

٧٧ وما سواها حكموا بالمنع عن قطعها فانها كالطع

اي ان الاطباء يحكمون بقطع العادة المضرة-تدرجياً لا دفعة واحدة كما صرح الشيخ الرئيس حيث يقول

وكلُّ عادةٍ تضرُّ اهلها ناطع بتدرج الزمان اصحابها

واما الفير المضرة فيمنعون عن قطعها لان البدن قد ألف عليها فصار

له كالطبيعة . وعليه قول الشاعر

الطبع شيءٌ قديمٌ لا يُحسُّ به عادة المرء تدعى طبعه الثاني

[١٧] ولذلك جعلوها مما يُراعى في قوانين العلاج كما علمت آنفاً

٧٨ واعلم بان اكثر الاوصاب ياتي من الطعام والشراب

٧٩ فقد يكون بها الممات كما تكون بها الحياة

اي ان اكثر الامراض يحدث من الطعام والشراب فيكون الموت بها كما

تكون الحياة . ومنه قول الشاعر

كم دَخَلت اكلةً حتى شره فاخرجت روحه من الجبد

لا بارك الله في الطعام اذا كان هلاك النفس بالاسد

وذلك لان اكثر الامراض يحدث عن الاخلاط وهي تتولد منها . ويقبل

حدوث الامراض عن غيرها كما مر

٨٠ وحمة الصحيح في التمثيل تُحسب كالتخليط العليل

٨١ فاسلك طريق الاعتدال فيها وسلم الامر الى رب السما

(١) أَلِفَ عَلَيْهَا : كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَالشُّبُورُ أَنْ أَلِفَ بِتَمْدَى بِنَفْسِ-

(٢) فَقَدْ : وَفِي « الطَّيِّبِ » : وَقَدْ

اي ان الصحيح اذا احتسى كما يجتمى المريض يُجسب ذلك منه مثل
التخليط من المريض . لانه يُضعف الطبيعة ويجعلها قابلة للتأثر بادنى سبب
من اسباب المرض . ولذلك يجب ان يسلك طريق الاعتدال في طعامه وشرابه
بحيث لا ينهك في النهم والشراهة . ولا يقتصر على تناول ما يتناوله المريض
من الاغذية الخفيفة القليلة الغذاء . وبعد ذلك يسلم امره الى الله

٨٢ [و] الآن تمت نبذة كليله ضمنتها القواعد الطيبه

[١٧ق] ٨٣ وهي نظير الدرّة اليتمه في منهج الصناعة القديمه

٨٤ فقل لقوم طلبوا طب العرب قديم تاريخ [ظفرتم بالارب]

اي الآن تمت هذه النبذة المشتملة على كليات [قواعد] الطب التي تبني
عليها المسائل الجزئية المذكورة في [مطولات] الاطباء الذين يستقون فيها انواع
الامراض واسبابها وعلاماتها ومعالجاتها . وذلك على مذهب اطباء العرب الذين
نقلوا عن اطباء اليونانيين الذين اختعروا هذه الصناعة وفرعوا على ما نقلوه عنهم
إلهداهم الله اليه من المسائل الكثيرة . وقد جعلت هذه الرسالة كاخلاصة من
الاصول التي تتشعب منها الفروع . وكان الفراغ من تأليفها سنة الف وثمانماية
وست وخمسين للسيح كما يشعر قولي ظفرتم بالارب فانه يشتمل على العدد
المذكور بحساب الجائل . والحمد لله اولاً وآخراً وهو حسبنا ونعم الوكيل

تت

